تقرير عن الحفريات الاثرية الاولى للجامعة الليبيـــــة
التى قام بهـا قسم الاثـار بكليـــة الاداب فى مدينـة توكـرة الاثرية (١٧ـ٢٩ أبريل ٧٢م)

اختيار موقع الحفريات :

جرت الاتصالات منذ بداية العام الجامعى ٧٠/١٩٧١م بين كل من عميد كلية الاداب ورئيس قسم الاثار بالكلية وبين الادارة العامة للاثار الليبية فيما يختص باختيار موقع لاجراء الجامعة فيه حفرياتها الاثرية ولتدريب طلبة قسم الاثار بكلية الاداب على اعمال الحفر والتنقيب بالطرق العلمية السليمة .

ولقد تم الاتفاق بين الادارة العامة للاثار وبين عميد كلية الاداب ورئيس قسم الاثار على اختيـــار منطقتين للحفر والتنقيب . وذلك طبقا فى خطاب الاخ الاستاذ عوض السعداوية المدير العام المنتـــدب للادارة العامة للاثار (رقم أ ع ت /٥٨/٥٣٠٦ بتاريخ ١٣/١١/٧٠ هـ الموافق ١٠/١/٧١م) وخطـــاب رئيس قسم الاثار لعميد كلية الاداب المتضمن الموافقة الشفوية على المنطقة من الاخ الاستاذ عوض السعداوية والمؤرخ (بنغازى ٣ محرم ١٣٩١ هـ الموافق ٢٨/٢/١٩٧١م) والخطاب(٦/١/٧١/١٣٩١ هـ الموافـــق ٣/٣/١٩٧١م) والمرفق صورتيهما .

وتقع المنطقة الاولى التى حددتها الادارة العامة للاثار بالقرب من المحجر الشمالى الغربى الواقـع داخل اسوار مدينة توكرة الاثرية ، بينما تشمل المنطقة الثانية "التى اختارها رئيس قسم الاثار بموافقة المديـر العام للادارة العامة للاثار ـ الكنيسة الشرقية (ذات الاعمدة) وكذلك الحوض المكشوف الواقع جنوب شـــرق الكنيسة المذكورة (خريطة ١) ، كما تشمل هذه المنطقة ايضا الكنيسة الملاصقة للحوض من جهة الغرب والتى ورد ذكرها لاول مرة فى البحث الذى كتبه الدكتور فوزى الفخرانى باسم " اضواء على تاريخ وآثار توكرة " الذى سينشر ضمن ابحاث المؤتمر السادس العربى للاثار (طرابلس سبتمبر ١٩٧١م ، وستنشره جامعة الـــدول العربية والذى ذكر الدكتور الفخرانى فى محاضرة بالجامعة الليبية (مارس ٧١م) ـ كما تتضمن هذه المنطقة كذلك الكنائس الاخرى الواقعة بين هذا الحوض والكنيسة الشرقية (ذات الاعمدة) .

الاعداد لاجراء الحفريات وتكوين البعثة :ـ

لقد تأخر البدء فى اجراء الحفريات عن موعدها المقرر لها فى اكتوبر ١٩٧١م بسبب عدم تواجـــد واستكمال الانواع المناسبة والصحيحة من الادوات الضرورية لاعمال التنقيب والتسجيل والترميم وتنظيـــف المكتشفات والتصوير والتحفيظ والنضح ورسم الفخار والرسم المعمارى والمخططات وكذلك لعدم توفر المكتبـــة الاثرية اللازمة لعمل الدراسات الخاصة بالمكتشفات ـ ولقد سبق ان تقدم رئيس قسم الاثار بقوائم خاصة لكـــل من هذه العمليات قبل نهاية العام الدراسى المنصرم ٧٠/٧١م وقبل بداية العطلة الصيفية لعام ١٩٧١م . ونظرا لعدم توفر كل هذه الادوات الضرورية بليبيا اضطرت الكلية بالاتفاق مع قسم الاثار الى تجهيز البعثة بما يمكن توفيره من هذه الادوات . وحيث انه لم يتم تدبير ذلك الا قرب نهاية العام الدراسى الحالـــى ـ لذلك كان لزاما اختصار المدة المقررة لاعمال التنقيب حتى يستطيع الطلبة ان يعدوا انفسهم لامتحانـــات الدور الاول (مايو ١٩٧٢) . لهذا تقرر ان تبدأ الحفريات يوم ١٧/٤/١٩٧٢م وتنتهى يوم ٢٩/٤/٧٢م كما تقرر ان يرأس البعثة الاستاذ الدكتور فوزى الفخرانى رئيس قسم الاثار واستاذ مادة " الحفر والتنقيب " واختار لمعاونته الزميلين الدكتور توفيق سليمان والدكتور احمد غزال من اعضاء هيئة التدريس بالقســـم كأعضاء فى البعثة ـ ولقد تقرر ان يقوم طلبة المرحلة الوسطى بالقسم (السنة الثالثة) باعمال التنقيب والتسجيل دون استخدام اى عمالة اخرى .

وذلك حتى تتاح للطلبة فرصة التدرب على جميع الاعمال التى يقوم بها عادة فى الحفريات الاثرية مدير الحفريات والعمال على السواء ، ولكى تتاح للطالبة ايضا فرصة التدرب على كل المراحل التى تمر فيها الحفريات الاثرية منذ بدايتها حتى نهايتها . وذلك اسوة بما هو متبع فى جامعات اوروبا وخاصة انجلترا والمانيا على سبيل المثال .

وعليه فلقد اشترك بحفريات هذا الموسم الطلبة الاتية اسماؤهم :ـ

(١) حافظ احمد الولده (٢) عبد الله الصيد (٣) محمد صخير ثامر (٤) سليمان ساسى سليمان (٥) حسنى عبد الرحمن المسلاتى (٦) احمد المشربى (٧) الطيب البهلول (٨) فرج المسورى (٩) رضوان قويدر (١٠) مصطفى ابوشيحة (١١) عدنان الاسطى (١٢) بشير اسبير (١٣) عبد الله احمد عبد الله (١٤) محمد سعد الكواش (١٥) عبد السلام الكواش (١٦) احمد القلقى (١٧) محمد على عيسى .

ونظرا لعدم توفر المساح الاثرى والرسام المعمارى والاجهزة المساحة بالقسم بعد ـ لذلك قامت ادارة الكلية بالاتصال بوزارة الاسكان لمد البعثة بمساح وبالاجهزة اللازمة للاشتراك فى اعمال الحفريات . ولقد قام المساح محمد الحايك من موظفى الوزارة باعمال المسح وان كانت التزاماته فى الوزارة لم تسمح له بالحضور الى توكرة الا ثلاثة ايام فقط ، اتفق معه مدير البعثة على ان تكون ايام ١٦ ، ١٧ ، ٣٠ أبريل ٧٢م . ومن ثم ذهب الاساتذة اعضاء البعثة الى توكرة يوم ١١ أبريل ، لاعداد مواقع الحفر واجراء عمليات المسح الاثرى وتخطيط مواقع الحفريات قبل وصول الطلبة . الا ان يوم ١٦ قد ضاع دون ان ينفذ المساح فيه شيئا خاصة وقد وجهنا الاخ مصور ملاحظ المنطقة الاثرية بتوكرة الى موقع آخر خلاف الموقع الذى اشار طينا به الاخ الاستاذ عبد الحميد مراقب آثار بنغازى ليكون هذا الموقع فى حدود المنطقة الاولى . ولهذا استؤنفت عملية المسح ، وتخطيط المواقع للحفريات ، واخذ ارتفاع المنطقة عن سطح البحر فى اليوم التالى اى فى ٧٢/٤/١٧م .

وبعد عودة الاساتذة اعضاء البعثة والطلبة الى بنغازى يوم ٤/٢٩ بقى رئيس الحفرية يوما آخر اى (٧٢/٤/٣٠) وذلك للاشراف والمساهمة فى اعمال المسح وربط الموقع على الخريطة وكذلك فى اعمال التصوير وارشاد مصور الادارة العامة للاثار الذى حضر من شحات ـ بناء على طلب رئيس البعثة ـ للتصوير بواسطة الكاميرا الاستوديو حيث انه ليس لقسم الاثار كاميرا مثلها على اهميتها ـ كذلك اشرف رئيس البعثة فى ذلك اليوم على اقامة سياج حول الكنيسة المكتشفة والحوش الملاصق لها كما اشرف على عملية ترميم الفسيفساء ضد العناصر المدمرة للدمار ولقد قام بالترميم بالاستعانة بعمال السياج من الاثار فى توكرة .

وبالاضافة لبعض هذه الخدمات التى قدمتها الادارة العامة للاثار مشكورة للبعثة تفضلها بوضع الاستراحتين الموجودتين فى توكرة تحت تصرف البعثة طوال مدة الحفرية ـ ولقد استخدمت الاستراحة الكبيرة (العليا) والتى ينام فيها الطلبة كمطعم لجميع المشتركين فى الحفرية ومطبخ وللدراسة ، بينما كان مبيت الاساتذة فى الاستراحة الصغرى التى استخدمت كمخزن للمكتشفات والمواد التموينية والادوات الدقيقة . ولقد خصصت الادارة العامة للاثار حجرة خلف المتحف لحفظ الادوات المستخدمة فى الحفر .

اما كلية الاداب والجامعة الليبية فلقد تكرمتا مشكورتين بتحمل كل تكاليف الاقامة والاكل وتجهيز البعثة بادوات المبيت والطبخ والاكل وادوات الحفر والتسجيل كما وضعت سيارة لاند روفر وسائقها تحت تصرف البعثة طوال مدة الحفرية واعدت البعثة بالمباشر لاعمال الطبخ والنظافة .

خطة العمل :ـ

كان من المقرر ان يتدرب الطلبة على العمل فى كل الاعمال فى المنطقتين المذكورتين وبالتناوب لاختلاف طبيعة العمل فى كل منطقة . اذ كان من المتوقع منذ البداية ان تعدنا المنطقة التى اختارتها الادارة العامة للآثار بتسلسل فى الطبقات وتباين بينها اكثر مما تزودنا به من آثار معمارية . بينما اتسمت منطقة الحوش والكنائس التى اختارها رئيس البعثة بطبيعة مكتشفات معمارية وربما زخرفية .

ونظرا لقصر مدة الحفرية لقرب ميعاد بدئها من امتحانات الدور الاول بالجامعة ، ولقلة عدد الايدى العاملة فيها من الطلبة حيث ان عددهم ١٧ طالب فقط ، سيكونون موزعين بين المنطقتين . بل ان تدريبهم شمل كل الاعمال المرتبطة بالحفر والتسجيل وتحديد الموقع (وهذا يتضمن المسح الاثرى للموقع وتخطيط الحفرات على شكل مربعات او مستطيلات باحجام مختلفة حسب طبيعة الموقع ونوع الحفرة) والتسجيل بانواعه . ولقد قام فعلا بشرح البعثة قبل بدء العمل وفى حضرة الزملاء اعضاء البعثة المشتركين فيها بشرح مراحل العمل للطلبة فيما يختص بالمسح من تدريب الطلبة على استخدام الـ (level) فى تحديد ارتفاع الموقع بالنسبة لمستوى سطح البحر واستخدام التيودوليت (theodolite) فى تخطيط المربعات وتوجيه الموقع بالنسبة للجهات الاربعة (الشمال المغناطيسى) وكذلك ربط الموقع بالنسبة للآثار والمبانى القائمة فى تركوة والمثبته على خريطتها التى تفضلت بلدية تركوة بتزويد البعثة بها . كما شرح رئيس البعثة كيفية تخطيط الموقع بالشوار والمير (صورة رقم ١) ثم طريقة الحفر فى المربع بعد تقسيمه داخليا وطريقة استخدام ادوات الحفر المختلفة ومتى يستخدم كل منها ، وكذلك طريقة تسجيل بطاقات جداول واكياس كسر الفخار وتسجيل الطبقات المختلفة للتربة فى الحفرة (Loci) ، وطريقة تسجيل المكتشفات قبل نزعها من التربة وتصويرها وتسجيل الطبقات والموقع بالكاميرا والصور ، وطريقة كتابة يوميات الحفرية والرسم البيانى اليومى للمقاطع فى الحفر افقيا ورأسيا ، وتسجيل مواقع المكتشفات فى اليوميات وفى الرسم البيانى ، وكيفية تطبيق كل هذه الاشياء والخطوات على المواقع المختلفة سواء كانت مجرد طبقات او مكتشفات وسواء كانت هذه معمارية او فسيفساء او مقابر او جرار فخارية او زجاج وخلافه ـ بل لقد شرح رئيس البعثة لهم فى كثير من الاحيان الغرض من كل خطوة تتخذها البعثة قبل بدءها واثناء الحفر . وعلى سبيل المثال ما يترتب من حفر حفرة جديدة ، ولماذا اتخذ القرار لحفرها حتى يكون الطلبة على علم بكل ما يدور فى الحفرية ، وحتى يكون ذلك افضل ايضا على التدقيق والحماس فى العمل لتحقيق الاهداف العلمية المرجوة من هذه الخطوة مثلا .

ولقد بدأ العمل اليومى فى الساعة السادسة والنصف صباحا بتناول الافطار فى الاستراحة ، ثم التوجه للمنطقة وبدء العمل فى السابعة صباحا وفى العاشرة يقدم للطلبة فى الموقع الشاى وبسكوت او خبزة وجبن مسح الشاى او الحليب ويستأنف العمل فى العاشرة والنصف حتى الساعة ١٢,٣٠ حين يعودون للاستراحة لتناول الغداء وفى الساعة ١٥ يستأنف العمل فى الموقع ويقدم لهم فيه الشاى والبسكوت فى الساعة ١٧ ويستمر بعدها العمل فى كثير من الاحيان حتى الساعة ١٨ واحيانا ١٨,٣٠ ـ ولا ينتهى العمل فى الموقع يوميا الا والموقع نظيف حتى يكون معدا للتصوير فى الصباح المبكر قرب الشروق ان دعت الضرورة لذلك . وبعد انتهاء العمل اليومى فى الموقع يعودون للاستراحة للدراسة او تناول العشاء فيتم فى الساعة ١٩,٣٠ ثم يستأنفون دراستهم . ولقد قام الدكتور احمد فزال بشرح بعض المواد الدراسية للطلبة ومنها ما يصعب عليهم فى اللغة

اليونانية مثلا كما رد كل من الدكتور الفخراني والدكتور توفيق على استفساراتهم العلمية في المواد المختلفة ـ ولقد زار الموقع التي اجريت فيها الحفريات اثناء سير العمل كل من الدكاترة الاستاذ عميد الكلية والاستاذ وكيلها واعضاء مجلس الكلية واساتذة كلية الاداب . كما زار المنطقة التي اجريت فيها الحفرية طلبة المرحلة الاولى للتخصص بالقسم (السنة الثانية بالكلية) برفقة الدكتور عبد الله المسلمي من اساتذة القسم . وذلك يومي الاربعاء ٧٢/٤/١٩ والثلاثاء ٧٢/٤/٢٥ . وقام رئيس البعثة وكل من الزملاء الدكتور غزال والدكتور توفيق بشرح مراحل سير العمل في المنطقتين والمراحل المختلفة للعمل ، كما ساهم طلبة هذه المرحلة في هذين اليومين بحفر الاعمال المحددة .

ولقد قام بالتصوير العلمي للحفرية بالشرائح والافلام العلمونة الدكتور الفخراني كما صور افلاما (ابيض واسود) للمنطقة وقام الدكتور توفيق سليمان بتصوير افلام ابيض واسود وكذلك الطالب محمد الكواش . وقبل نهاية الحفرية (يوم ٧٢/٤/٣٠) استدعى مصور الادارة العامة للاثار من شحات ـ بناء عن طلب رئيس البعثة ـ لتصوير ٦ صور للمنطقة (ابيض / اسود) بالكاميرا الاستوديو لعدم توفر كاميرا مثلها لدى البعثة بعد .

وقام بالمسح الاثري المساح محمد الحايك سواء في تحديد الارتفاع بالنسبة لسطح البحر او لربط الموقع مع غيره من المباني القائمة والمثبتة على الخريطة او تحديد اتجاه الموقع والتخطيط بالنسبة للشمال المغناطيسي وقام رسام من الوزارة (الاسكان) برسم هذه المواقع على الخريطة ، وان كان لم يتسع الوقت لتحديد المواقع المذكورة كلها بدقة ـ وبناء عن ارشاد رئيس البعثة .

اعمال الحفر في المنطقة الغربية (المنطقة رقم ١ ـ TRENCH I) :ـ

بعد ان خطط رئيس البعثة الموقع على شكل مربعين كل منهما ٥ × ٥ م وبينهما ممر بشكل مستطيل بطول متر وبعرض م (١×٥) وذلك لتمرفوته عربات التراب ـ ان تطالب الامر الحفر في المربعين المجاورين (صورة ١) . ولقد سمي الموقع رقم ١ (TRENCH I) ـ وكانت الخطة حفر احد المربعين على الاقل حتى الصخر البوفي ـ ولكن لم يتحقق ذلك لان الحفرية ساريت ببطء اذ انها كانت تعليمية ، كما ان العمل كان مستمرا في هذه المنطقة وفي منطقة الحوش والكنيسة الملاصقة له في الجهة الشرقية للمدينة مع قلة عدد الطلبة وقصر مدة الحفرية .

ولقد عهد للزميل الدكتور توفيق سليمان بالاشراف على هذه المنطقة الغربية وللدكتور احمد غزال بالاشراف على المنطقة الشرقية (الحوش والكنيسة) ، كما باشر الدكتور الفخراني رئيس البعثة الاشراف على المنطقتين مع تركيز على كل منطقة عندما تبدو الحاجة لذلك ، وبعد ان اطمأن لسير العمل في المنطقتين حسب الشرح الذي قدمه للطلبة على الموقع ـ في حضرة الزملاء المشرفين على المنطقتين ـ وكان الطلبة احيانا يلجأون للاستفسار والتوجيه من الزميلين الدكتور توفيق والدكتور غزال في حالة غياب الدكتور الفخراني عن اي من المنطقتين ـ ان دعت الضرورة لذلك ـ وان رئيس البعثة ليثني بالمجهود الذي قام به الزميلان الدكتور احمد غزال والدكتور توفيق سليمان من اساتذة القسم في نجاح اعمال الحفرية في هذا الموسم ويذكر ما قاموا به بالشكر وشاركتهم وتشجيعهم في العمل .

ولقد وزع الدكتور توفيق العمل في المنطقة الغربية (رقم ١) على الطلبة بشكل دوري وبالتناوب بحيث يقوم كل طالب بعمل زميله في اليوم التالي وكذلك عمل الدكتور غزال في منطقته حتى تتاح الفرصة لكل طالب مباشرة كل عملية بنفسه .

كما قسم الدكتور توفيق مربع التنقيب رقم ١ الى ثلاثة مستطيلات باتجاه شرق / غرب وظهرت عند البداية اوانية حصرية ترابية وبها كسر متنوعة من الفخار - وكان النزول في اى مستطيل لا يزيد عن عشرة سنتيمترات، اللهم الا اذا ظهر موضع (Locus) جديد آخر ((خشية ان تختلط مخلفات كل موضع (Locus) مع مخلفات موضع آخر)) . ولقد تابع وباشر رسم الطلبة للمنطقة في اليوميات (رسم كروكي بمقياس $\frac{1}{50}$).

وطالما ان الهدف في هذه المنطقة هو تدريب الطلبة على ملاحظة التباين في اختلاف المواضع (Loci) او الطبقات (Strata) وفصل محتويات كل موضع عن الموضع الاخر في الجداول والاكياس والمغلفات والعلب الكرتون الصغيرة ، مجموعة هذه المخلفات ، مع تسجيل بيانات وبطاقات على كل منها ، وتسجيل عدد كل منها ، وطبيعة المكتشفات في اليوميات وتحديد موقعها بالرسم البياني في صفحات الطيمترات بدفتر اليوميات ، وطالما ان هذا هو الهدف لذلك لم تكن هناك ضرورة الى حفر المربع بكامله وعليه اضطررنا مع بطء العمل الى اختصار مساحة التنقيب في هذه المنطقة بالاتفاق بين الدكتور توفيق ورئيس البعثة حتى يحقق الحفر انجازا اسرع للوصول الى الطبقة الصخرية السفلى .

وفي يوم ١٩٧٢/٤/٢٣م استبدلت مجموعة الطلبة التي تعمل في هذه المنطقة الشرقية بمجموعة الطلبة التي تعمل في المنطقة الشرقية بالتبادل ، كما اختصرت مساحة الحفر في هذه المنطقة مرة اخرى وانهى الحفر فيها كلية يوم ٤/٢٥ قبل الوصول الى الطبقة الصخرية . اذ اتضح ان الطبقات فيها كلها من الوديم ، كما ان مخلفاتها جميعا متشابهة في اعلى نقطة على سطح الارض بالمنطقة مع أعمق نقطة وصل اليها الحفر . وان مخلفاتها كلها من كسر الفخار وقطع صغيرة مكسورة من الزجاج التي تنتمي لكل العصور المختلفة متشابهة سواء كانت يونانية او رومانية او بيزنطية وحتى قطع العصر الحجري الخالص التي وجدت بين التراب وستدرس كل هذه المخلفات ، وينشر عنها مع بقية نتائج الحفرية مستقبلا .

المنطقة الشرقية :-

وتتكون في الواقع من منطقتين احداهما الحوض الكبير المكشوف والثانية الكنيسة الملاصقة له والموازية له والتي سبق ان اشرت لاول مرة اليها والى الحوض في آخر صفحة من مقالي عن " اضواء على آثار وتاريخ توكسوة " التي القيت فيها محاضرة عامة بكلية الاداب من الصالونات العامة للكلية في مارس ٧١م والتي ستطبع ضمن ابحاث المؤتمر السادس الدولي للاثار الذي عقد في طرابلس سبتمبر ١٩٧١م والذي نظمته جامعة الدول العربية .

ولقد كان مخطط العمل في هذه المنطقة هذا الموسم تحديد معالم الحوض بصفة رئيسية وعلاقته بالكنيسة الملاصقة له - ولقد حققت البعثة هذه الاهداف بالنسبة للحوض - وان كانت البعثة لم تستطع ازالة كل الاتربة المتراكمة فيه .

وبداية العمل في هذه المنطقة مهد لبعض الطلبة تحت اشراف الدكتور غزال بازالة الاحجار المتناثرة فوق رديم الحوض والنباتات البرية فيه تمهيدا لاعداد المربع للحفر . وبينما كان رئيس البعثة يشرف على العمل في المنطقة الاولى استرعى نظر الدكتور غزال والطالب محمد الكواش - اثناء ازالة الاحجار - تناثر الفسيفساء ابتداء من الجانب الغربي للحوض حتى الجانب الشرقي للكنيسة الملاصقة . وكان ان سمح الدكتور غزال للطالب الكواش بتتبع الفسيفساء واظهار ارضية الكنيسة في مجمل سطحي لقرب ارضية الكنيسة في هذه النقطة من سطح التربة العليا وتظهر فسيفساء ملون باللون الابيض مع اشكال لاجزاء من فهدين منطلقين في

رثية كبيرة باللون الازرق ٠

واذ كانت نية رئيس الحفرية عدم التوسع بالكشف عن الكنيسة ومحتوياتها في هذا الموسم (حيث انه لا يعلم مدى قدرة الدلبة في اولى حفريات الجامعة على الانجاز والعمل وخشية ان يبدأ العمل في الكنيسة والا يتم العمل فيها نهائيا قبل نهاية مدة الحفرية على قصرها ، الا ان جمال الفسيفساء والاشكال المختلفة المصورة فيه كانت دافعا له للتصريح باستمرار الحفر في الكنيسة والحوض معا وخاصة لان توكرا لا تمتلك حتى اليوم مكتشفات من هذا النوع كما انه كان لدى رئيس البعثة تصريح سبق من الادارة العامة للاثار بحفر الكنائس والحوض ، كما هو مثبت في الخطابات ٠ ومن ثم بدأ تخطيط وتحديد حدود الحفرات بالضوابط والمقاييس وتسجيل كل المكتشفات من فخار وخلافه ٠

ولقد خططت الحفرية في هذه المنطقة الشرقية بواسطة عدة حفرات (Trenches) تشمل كل صحن الكنيسة وجنبتها والدرج المؤدي للصحن والواقع في الجانب الشمالي الغربي للكنيسة والمنطقة الممتدة امامه ٠ كما حفرت ثلاثة حفرات خارج حائط الكنيسة الغربي وحفرتان خارج حنية الكنيسة في ملاصقة حائطها الخارجي وحفرة اخرى في المنطقة الجنوبية الشرقية للحنية الفاصلة بينها وبين حائط الحوض وحفرة غيرها في المنطقة الفاصلة بين حائط الكنيسة الشرقي والحوض ٠ هذا الى جانب حفرتين في الحوض ذاته احداهما في الركن الجنوبي الغربي للحوض والاخرى في الركن الشمالي الغربي للحوض ، ولقد حققت كل هذه الحفرات غاياتها المتوقعة منها ٠ كما ان في بعضها كانت هناك بعض المفاجآت غير المتوقعة مثل وجود مقبرتين خارج حائط الحنية — الدفن فيها في جرار فخارية بيزنطية من العصر المتأخر ٠

وحيث ان طبقة الرديم التي كانت تغطي الكنيسة وارضيتها لا تزيد عن نصف متر في ارتفاعها ، ونظرا لصغر حجم الكنيسة لذلك امكن الكشف عن الكنيسة وتنظيفها قبل نهاية الحفرية — واتضح من اعمال التنقيب ان الرديم يمثل طبقة واحدة متراكمة فوق طبقة رقيقة غير منتظمة من الجص وملتصقة بالفسيفساء العلوي لارضية الكنيسة في بعض المناطق ، وخاصة في جانب صحن الكنيسة الشمالي الشرقي وعند منتصف جانبها الغربي ولم يوجد اثر لطبقة الجص الجيري الابيض الرقيقة هذه في المناطق الاخرى من ارضية الكنيسة ولقد ظهر ان طبقة الجص هذه كونت ارضية لبعض المنشئات الخاصة المتواضعة في عصر لاحق وربما في العصر العربي والتي ظهر بعض آثارها غير منتظمة ومبنية بطبقة سميكة من الملاط وكتلها صغيرة متعددة الزوايا وليست متساوية في حجمها (صورة ٢) ٠

ولقد كشفت الحفرية في داخل الكنيسة عن حنية تصدر اثرية من النوع المألوف في الكنائس اذ هي اصغر تقليلا في قطرها من عرض صحن الكنيسة بما يترك كتفا مستقيما بعرض ½ متر عند كل من جانبيها يتصل بالحائط الغربي والشرقي لصحن الكنيسة وتخالف الحنية في شكلها هذا ومخططها شكل حنايا المباني الرومانية سواء كانت هذه في قصور مثل قصر نيرو الذهبي او حمامات رومانية مثل حمامات الفورم بيومبي اوفي باسيليكا رومانية مثل بازليكا شحات ، كما انها اكبر من الحنايا الموجودة في المقابر الرومانية كما في ايزولا سائرا تورروما وتختلف عنها في شكلها ٠ وهذه ظاهرة توضح الطبيعة المسيحية للمبنى المكتشف وتجعله يتفق مع الكنائس المسيحية ٠

ويدعم هذه الطبيعة للمبنى المكتشف ظهور صف من الاحجار بارتفاع ١٠ سم يمتد امام الحنية وعلى بعد ½ متر تقريبا من كتفها ويمتد بمحور صحن الكنيسة (Nave) ويسمى (Chancel) ويمثل

هذا الصف القائم امام الحنية (صورة ٣) موجود بالكنائس المسيحية وخاصة في تلك الكنائس التي من النوع البازيليكي يفصل بينهما وبين الحنية ما يعرف باسم (Bema) وكان يثبت في مثل هذا الصف من الاحجار جدار خشبي به ابواب تفتح على المذبح القائم في حنية الكنيسة في مواجهة منتصف صحن الكنيسة (Nave) وهذا شائع في كل الكنائس المسيحية التي من هذا النوع . وكان يرسم على واجهة هذا الجدار الخشبي او الستارة التي من القماش رسوم وصور او يثبت عليه ايقونات مسيحية كما هو شائع منذ القرن الرابع الميلادي ومن الامثلة على ذلك كنيسة البازيليكا في دير سانت كاترين بسيناء والتي ترجع الى عصر الامبراطور جستنيان (في القرن السادس) .

وصحن الكنيسة بعرض ٥ ٪ متر تقريبا وبطول ١١ متر تقريبا ويلاحظ ان جدارا بارزا مبنيا في الحائط الغربي للكنيسة على بعد ٧ متر تقريبا من كتف الحنية الغربي ويبرز الجدار حوالي ٧٥ سم من الحائط وسمك ٪ متر .

(كان لها في الجانب الشرقي لمداخل صحن الكنيسة تغيير تبعا للتوازن في تخطيط المبنى عادة وان كان حاليا تهدم مع الجانب الشرقي لصحن الكنيسة) ، ويدل هذا الجدار البارز على ان صحن الكنيسة قد قسم الى قسمين جزء داخلي قريب من الحنية وجزء آخر خارجي ، واصغر في طوله قليلا ، يمثل ردهة امامية يؤدي الى مدخل الكنيسة حيث يوجد الدرج المؤدي الى الكنيسة والذي يتكون من ثلاثة درجات كما اكتشفت امام الدرج كتلتا الحجر التي كان يثبت فيهما الباب (صورة) .

ولما كانت طبقة فسيفساء الارضية العليا تمتد في كل صحن الكنيسة بطولها من الحنية حتى المدخل ولا تمتد زخرفتها تحت هذا الجدار البارز في الحائط الغربي فهذا يشير الى ان هذا الجدار لم يضاف على المبنى في عصر لاحق بعد عمل الفسيفساء ولكن كان قائما عندما اخذت ارضية الكنيسة كسوتها العليا من الفسيفساء . وهذه الحائط تقسم قاعة الكنيسة هكذا الى ما يشبه ردهة امامية (Narthex) وقاعة خلفها باتجاه الحنية (apse) ولكن امتداد زخرفة الارضية الفسيفسائية بين الردهة والقاعة دون انقطاع في التصميم يدل على ان الردهة والقاعة التي خلفها عولجتا كما لو كانتا قاعة واحدة اي صحن الكنيسة (Nave).

وهناك جدار شبيه بهذا الحائط وان كان يبرز اكثر منه عن الحائط الغربي نراه ممتدا عند نهاية صحن الكنيسة الشمالي ليحدد المدخل ويجاوره قاعدة اتيكية لعمود ايوني او كورنثي صغير لم تكتشف اجزاؤه العليا بعد . وربما لا زالت في رديم الحفر . وتمتد حائط المدخل هذه وهي بعرض ٪ متر تقريبا في اتجاه الشرق من الحائط الغربي للكنيسة وتنتهي اذ لوحظ ان احجاره تتفق في حجمها مع احجار الجزء المجاور له من الحائط الغربي لصحن الكنيسة بل ان بعض احجاره تمتد فيه في اتجاه الغرب حتى تكاد تشمل سمك الحائط الغربي بكامله (صورة) وهذا يشير الى ان الحائط بكتل صغيرة في صفوف متساوية والممتد على مدخل الدخل متأخر عنه في التاريخ وخاصة لان الحائط الممتد امام الدرج في اتجاه الشمال خارج الكنيسة ليعرف سمك حائط الكنيسة الغربي بأقل منها . ولذلك فهي اضافات على الكنيسة في عصر لاحق بدليل انها ترتكز على سلم الكنيسة بدلا من ان ينتهي عندها الدرج .

من هذا نستنتج ان طريقة البناء باحجار مربعة او مستطيلة صغيرة في صفوف متوازية وباستخدام طبقة سميكة من العونة وخاصة عند ارتكان الكتل غير المنتظمة المعروفة باسم (Opus listatum)

وهى طريقة محلية ظهرت فى شمال افريقيا للقرن الخامس الميلادى ((R. Krautheimer, "Early Christian and Byzantine Architecture, Penguin Book, 1965, p 146.

وهى طريقة مباشرة من الجدران الاصلية للكنيسة والتى تبدو واضحة فى حائط الهاب الشمالية الغربية والجزء المجاور لها من حائط الكنيسة الغربى (اى حائط الصحن الغربى) وحائط الحنية . اذ ان كل هذه الاجزاء المتبقية فى الكنيسة قد بنيت بكتل اكبر من الاحجار تبلغ فى حجمها ضعف الكتل الصغيرة المستخدمة فى الحائط المبنى على جانبى مدخل الكنيسة والمرتكن على دورها من جهة الشرق والغرب والممتد نحو الشمال امام الكنيسة وباتساعها .

اما السبب فى وجود هذا الحائط بامتداد حائط الكنيسة (وان كان اقل منها سمكا) وما يرجح لاستخدام حائط الكنيسة كحائط لمبنى ممتد نحو الغرب كشف عن جدران له متوازيات وممتدان نحو الغرب ومرتكزان فى بنائهما على جدران الكنيسة . وكذلك كشف عن دعامة من دعامات هذا المبنى الواقع غرب الكنيسة مرتكزة على حائط الكنيسة الغربى من الخارج ، ولقد ظهرت هذه الجدران والدعامة عند اجراء ثلاثة حفرات خارج مبنى الكنيسة الغربى وخارج الحنية فى الجهة الغربية . اذ تجد الحائط الجنوبى لهذا المبنى المتأخر يرتكن على حائط الحنية مما يؤكد تأخرها فى التاريخ عن تاريخ حائط الحنية، كما ان اساسات هذا الحائط تغور الى عمق متر ونصف فقط بينما تغور اساسات حائط حنية الكنيسة وحائط جدارها الغربى الى عمق ٢م او يزيد كما فى الصورة ( ) والصورة رقم) ،

وان كان مما سبق يتضح ان طريقة البناء بالاحجار الصغيرة المستطيلة او المربعة ترجع الى عصر متأخر بيزنطى ـ لذلك فان الترميمات التى بالكتل الصغيرة والتى ادخلت على الحائط الغربى لصحن الكنيسة فى الجزء الواقع بين الدعامة البارزة (اى نهاية الردهة Narthex) وبين الحنية قد اقيمت فى عصر لاحق من تاريخ الكنيسة فى العصر البيزنطى ـ وان كانت اساسات هذا الحائط قد بنائها قد غارت الى نفس العمق الذى وصلت اساسات الكنيسة القديمة المبنية باحجار اكبر كما فى الحنية وكما فى الجزء الشمالى من الحائط الغربى لصحن الكنيسة (الذى يمثل حائط الردهة Narthex) الغربى .

ويلاحظ ان الجدار الشرقى للكنيسة قد بنى بمستقيمين متوازيين من كتل صغيرة احدهما يمثل واجهة الجدار الشرقية المتجه نحو الجنوب والصف الاخر يمثل واجهة الجدار الغربية المطلة على صحن الكنيسة ويوجد بينهما كتل اصغر لملء الفراغ بين الواجهتين لهذا الحائط ـ وهى طريقة لصقها ايضا فى بناء الاجزاء البيزنطية من سور مدينة تركوة التى اقامها الامبراطور جستنيان لتحصين المدينة ضد غزوات الوندال ((Procopius, de Aedificio, VI, 2, 4; Procopius "Buildings" translated by H.B. Dewing (Loeb) vol. VII (1954), P. 367; "ἐν ταύτῃ δὲ τῇ Πενταπόλει καὶ Βασιλεὺς Ἰουστινιανὸς τεῖχος ἐκ βάθρων τὴν πόλιν ἐρύσασθαι ἐτειχίσατο ἐξωπερτάτω

هذا من جدران الكنيسة وجدران المبنى الغربى المستند عليها ، اما من ارضية الكنيسة فواضح انها مرت فى اربعة عصور فظهرت فيها فى المرحلة الاولى بدليقة من الفسيفساء المزخرف على هيئة زخرفة هندسية من حصير مجدول باللون الاحمر والابيض تحصر بينهما اطارات مربعة بيضاء تضم كل منها دائرة ويحتوى الاطار الواقع فى الجزء الجنوبى الشرقى لصحن الكنيسة (صورة Nave) سمكين ، بينما يحتوى

الاثار الموجود شماله مباشرة شوطين ، والفسيفساء يتكون من قطع من الرخام واضحا بين قطع الفسيفساء
(tesserae) كبير الحجم نسبيا وبها يظهر الجص الخشنة فيه x ، والسمك رمز من الرموز المسيحية التي كانت شائعة حتى قبل ان يصبح الدين المسيحي دينا رسميا للامبراطورية الرومانية على يد الامبراطور قسطنطين في القرن الرابع " C.M. Corbern, The New Archaeological Discoveries and their bearing upon the New Testament and upon the life and times of the primitive church, 3rd ed., London, 1917, p. 397.

بل اننا نجد السمك في المقابر المسيحية زمن الامبراطورية الرومانية في القرن الثاني ق.م كما في كاكومب (مقابر) سان سباستيان بروما على فيا ابيا انتيكا بالقرب من كنيسة كوفاليس .

يعلو هذه الطبقة من الفسيفساء المسيحية طبقة بسمك ٥ سم من الجص الجيري الخالص . ويلاحظ ان السطح العلوي لهذه الطبقة مستوى او املس رقيق اللون مما يشير الى انه استعمل كأرضية يسير عليها الناس لبعض الوقت قبل ان توضع فوقه طبقة اخرى من الفسيفساء مبنية في طبقة من الجص بسمك ٢ سم . ويلاحظ كذلك انه اذا كسرت طبقة الجص السميكة خرجت سليمة دون ان تتكسر منها طبقة الجص التي تعلوها والمبنيت فيها الفسيفساء . وهذا يؤكد ان الطبقة السميكة قد جفت لفترة طويلة قبل ان تغطى بطبقة من الجص بنيت فيها الفسيفساء العلوى .

هذا وهناك طبقة اخرى من الجص رقيقة بسمك سنتيمتر غطت بعض اجزاء من الفسيفساء العلوى سبق الاشارة اليها . وقد تنتمي هذه الطبقة الى بعض المنشئات التي اقيمت فوق المبنى في العصر العربي .

الفسيفساء العلوى (صورة رقم) :ـ

غطت كل ارضية الكنيسة من عتب الباب حيث ترى قاعدة العمود حتى حاجز الـ (Chancel) الذي يحجز من خلفه الـ (Bema) والحنية (Apse) ـ غطت كلها بطبقة بسمك ٢ سم من الفسيفساء الرسوم والمزخرف ذو الالوان البيضاء والحمراء والصفراء والسوداء والزرقاء والسوداء والمصنوع من مكعبات صغيرة الحجم (tesserae) من الرخام والاحجار الصلبة الملونة ومن الزجاج الاخضر وغلافه (ويلاحظ ان الفسيفساء المصنوع من الزجاج يتفتت على شكل تشور بسبب عوامل الطبيعة بعد تعريته لها وسبب التنظيف وشبيه في ذلك الزجاج الروماني الذي يرجع لبداية عصر الامبراطورية) ـ ولقد وضعت مكعبات الفسيفساء ولصقت باحكام يكاد لا يظهر اثر للجص المبنيت فيه بين المكعبات ـ على عكس الفسيفساء السفلى للارضية ـ ودقة صناعة الفسيفساء واتقانه بحجم الصغير والوانه المختلفة يذكرنا بفسيفساء قصر ليبيا .

ولقد خططت كل ارضية الكنيسة على هيئة سجادة مستطيلة الشكل بها في مركزها مستطيل مزخرف بمناظر واشكال رمزية بموضوعات من الحياة اليومية ويقع هذا المستطيل الذي في الوسط بدوره داخل مستطيل مزخرف بزخرفة هندسية . ويقع هذا المستطيل بدوره داخل مستطيل به موضوعات دينيه ومناظر من الحياة اليومية ويحيط هذا المستطيل في النهاية شريط خارجي مزخرف بزخرفة هندسية بعض النتوء البارز في الجدار الغربي للكنيسة والذي يقسمها الى ردهة وصحن . لقد عولجت كل الكنيسة كوحدة واحدة من حيث الزخرفة وليست كحجرتين ردهة وصحن اذ ان التصميم متصل في كل الكنيسة تماما بشكل يذكرنا بتصميم فسيفساء ارضية جناح (Aisle) كنيسة قصر ليبيا ـ اما الحنية فلقد عولجت كلها

كوحدة واحدة مع الـ (Bema) زخرفتها هندسية تتكون من زخرفة من لونين وحدتها دائرة صغيرة من الفسيفساء الابيض على ارضية من الفسيفساء الاحمر ويحيط بالدائرة بيضاويات (تشبه المعدات المعدنية) من كل جهة من الجهات الاربع ، وتتكرر هذه الوحدة في الجنبة وفي الاطار الخارجي لارضية الكنيسة الملاصق لجدران الكنيسة الشرقية والغربية ولحاجز الـ (chancel) جنوبا ولمكتب المدخل والعمود الباقي قاعدته شمالا . هذا الشريط ذو الزخرفة الهندسية بسمك متر بينما يتفق في طوله وطول كل جانب من جوانب صحن الكنيسة .

ولكن الوحدة الهندسية الزخرفية المستخدمة في زخرفة الشريط الواقع بين المستطيل المركزي ذو الموضوعات والمناظر والشريط الذي يحده من الخارج ذو الموضوعات والصور الدينية ومناظر الحياة اليومية ايضا فوحدته عبارة عن دوائر هندسية متحدة المركز وتختلف في الحجم واللون كلما كبرت . ففي المركز دائرة صغيرة حمراء يحوطها اخرى اكبر بيضاء تتبعها اخرى حمراء ثم اخرى بيضاء وهكذا بين خطين من الفسيفساء الابيض .. وتتكرر هذه الدوائر على كل الشريط المحيط بالمستطيل المركزي ذو المناظر والموضوعات وترتبط كل مجموعة مع المجموعة المجاورة بزخرفة مجدولة كالحبال المجدولة . وفي هذا الشريط مجموعة مستطيلة بكل منها

ولقد بقي لنا من فسيفساء المستطيل الاوسط بعض رسوماته اذ يصور المنظر الموجود في النهاية الجنوبية منه شخصا جالسا وعند اسفله الدلتا عارية وتنمو بها نباتات وتسبح من اماه الاسماك ويقف خلفه زوج من طيور الابيض المصرية ، مما يشير الى ان الشخص الجالس هذا يرمز لنهر النيل . يلي هذا المنظر الى الشمال في نفس المستطيل جزء اختفى فسيفساؤه . بعد ذلك نرى قاربا يحمل راكبين بينما يمسك ثالث بالدفة . ويتجه القارب بعيدا عن منظر النيل باتجاه باب الكنيسة . ويذكرنا هذا القارب بقارب به شخصان صور في فسيفساء صحن كنيسة تصر ليبها ، ولقد رمز للنيل هناك بأسماك كما استدل عليه في ذلك الفسيفساء بوجود تصوير لانهر اخرى مثل تيسون والدجلة والفرات وكأنها انهر الجنة . ولقد اندثر الفسيفساء من الجزء المتبقي من المستطيل الاوسط ، ولم يبق له اثر .

اما الشريط الاخير الذي يحمل صورا وموضوعات فلقد صورت فيه الموضوعات ايضا مثل صور موضوعات المستطيل الاوسط ـ متصلة دون اي فاصل بينها . وهي طريقة في التصوير عرفها الفن الروماني من قبل وذلك في العصر الامبراطوري . ولقد احتلت ثلاثة نساء واقفات الجانب الجنوبي من هذا الشريط وهو المقابل لحاجز الـ (Chancel) . ولقد وقفت النسوة ورؤوسهن في اتجاه الجنة . وقفن تحت رواق من الاعمدة يتكون من عقود تستند على اعمدة سميكة ذات قواعد آتيكية ايونية . وزخرف بدن كل عمود بخطوط لولبية . وهذا نوع من الزخرفة لبدن العمود انتشر في كنائس العصر البيزنطي في القرن السادس وترى اللوبيات منحوتة على وعاء صور عليه القديس " مينا " في القرن السادس الاسكندرية [1] وكما نرى ايضا في كنيسة اللاتيرون الغربية . ولقد عرف الفن الروماني هذا النوع من زخرفة بدن العمود منذ القرن الثاني الميلادي كما في مقبرة الفاتيكان الكائنة تحت كاتدرائية القديس بطرس بروما .

اما الاروقة (Arcade) فلقد عرفها الفن منذ العصر البيزنطي

تقف المرأة التي في الركن الشرقي الجنوبي والمنقوش اسمها (KTICIC) (اي الانشاء) مسبوقا برسم الصليب ـ تقف بين شجرتين من نوعين مختلفين شأنها في ذلك شأن المرأة الواقفة في الركن الجنوبي الغربي والتي تحمل اسم (Avxvcwcic) وربما كان ذلك اختصارا لكلمة (Avxvcwcic)

(1) D. Talbot Rice, Art of the Byzantine Era, (Thames/Hudson, 1963), p. 6.

(بمعنى التجديد) ويسبق الاسم ايضا الصليب - اما المرأة التي تقف تحت العقد الاوسط فتحمل اسم (KOCMHCIC) (اى التزيين والتجميل) وهى ايضا تقف وعلى يسارها شجرة من نفس النوع وتمسك بيمينها عصا • ويوجد الصليب قبل اسمها •

والنسوة قصيرات وهندسات ويتميز شكلهن بال (frontality) التي مهد لها فى الفن البيزنطى منذ عصر الامبراطور قسطنطين (كما ترى فى رأس الامبراطور الرخامية فى روما)[1] ، وثبد و العينان براقتان والشعر بطريقة اصطلاحية وحول رؤوسهن ما يشبه برداء الـ (hale) كالقديسات وهذا تراث حتى الاقدام برداء ثقيل اسود يطبقهن بطابع من الوقار • وفى الفراغ الناتج عن تلاقى كل عقد بالاخر وكذلك عند الركبتين تقف حمامة وهكذا نرى اربعة من الحمام فى هذا الجانب من فسيفساء صحن الكنيسة •

اما فى الجانب الغربى لهذا الشريط فنجد صورة لشيخ عجوز ذى لحية يمثل النهر فيسون (PICWN) ويسبق اسمه الصليب ، ويجلس فيسون على جرة مستديرة يمسكها الماء بقوة ويحمل فى يديه جرة اخرى بنفس الشكل تقف على الجرة طيريتجه بمنقاره نحو فيسون وتتمو النباتات من خلف الجرة التي يحملها فيسون ، وتروى بقرة من الماء المنسكب بغزارة من الجرة وتمسك امرأة واقفة خلف البقرة بحبل يثبت فى رقبتها • كما تحمل المرأة طفلها الذى يمسك برمانة - بينما نرى بقرة اخرى خلف الاولى تأكل من النباتات النامية خلف الجرة التي يمسك بها فيسون ، ومن خلف المرأة نرى شجرة رافعة الثمار من الرمان ونرى تصويرا آخر لفيسون مماثلا تماما هذا وفى يده الجرة وتحته اخرى ينسكب منها الماء فى فسيفساء صحن كنيسة قصر ليبيا • وعلى هذا المنظر الذى يمثل الحياة اليومية فى الريف منظر آخر نحو الشمال يمثل ذليا يأكل ثعبانا ، وهو منظر يتكرر فى فسيفساء ليبيا ، اذ يظهر مرتين فى فسيفساء كنيسة قصر ليبيا مرة فى صحن الكنيسة ومرة اخرى فى جناحها (aisle).

يلى الظبي جزء اندثر فسيفساؤه ويتبعه منظر جديد • اذ يظهر فارس راكبا حصانا يجرى فى رشة كبيرة وقد رفع الهراوة بالرداء المثبت حول كتف ورقبة الفارس ويتجه الفارس والحصان تجاه الشمال وهو شاهر رمحه نحو ثم اسد يهاجمه فى رشه باتجاه الحصان نحو الجنوب بينما نرى كلب الفارس راكضا نحو الاسد للاسد وفى مستوى اسفل بالنسبة ليهاجم الاسد فى بطنه • والفسيفساء بعد منظر القنص هذا متآكل الاجزاء ولكن تظهر بقايا الاسد آخر وحيوانات اخرى لا يمكن الاستدلال عليها •

اما الفسيفساء فى الجناح الشرقى لهذا الشريط فلقد اندثر ليظهر من تحته الفسيفساء القديم للكنيسة • وعند منتصف الشريط الشرقى نجد بقايا لشهدين كانا اول ما ظهر من الفسيفساء فى الحفريات •

وبينما اختفى الجناح الجنوبى لهذا الشريط من الفسيفساء الا فى بعض اجزاء الزخرفة الهندسية ، نجد ان الركن الشمالى الشرقى منه لا زال مختفيا تحت طبقة الجص الرقيقة الطيا التي تغطيه والتى لم يتم ازالتها بعد ••

من الواضح ان هذا الفسيفساء فى تصميمه الى مستطيلات احدهما داخل الاخر وفى تناوب الزخرفة الهندسية فى كل شريط مع الشريط المرسوم باشكال آدمية وحيوانات وطيور واسماك وموضوعات دينية وغيرها من الحياة اليومية ومناظر الريف والقنص والبحر والنهر كلها تتلاءم فى تصميمها فسيفساء جناح (aisle) كنيسة قصر ليبيا • كما ان الموضوعات المصورة عليها سواء النسوة باسمائهن او النهر فيسون او النيل تذكرنا بمثيلاتها التي كثيرا ما تكون تذكارا لها فى موضوعها وشكلها والموجودة فى صحن كنيسة قصر ليبيا •

① Volbach/ Hirmer, "Early Christian Art," 1961, pl. 16.

كل ذلك يشير الى ان فسيفساء كنيسة قصر ليبيا وفسيفساء كنيسة توكرة التي كشفنا عنها في الحفرية يمكن ارجاعهما الى يد فنان واحد ويبدو انه من فناني الاسكندرية التي اشتهرت مدرستها بصناعة الفسيفساء . ويؤكد ذلك تصوير النيل في الفسيفساء في كل من الكنيستين المذكورتين . كما ان مدرسة اسكندرية — كما اشتهرت بتنفيذها فيما ، اشتهرت في نفس الفترة لتزخرف فسيفساء كنيسة مادبا بالاردن والتي تمثلها خريطة النيل وسيناء وفلسطين وفسيفساء كنيسة جرش بما عليها من صورة لمدينة الاسكندرية وشارتها .

ويمكن كذلك ارجاع فسيفساء كنيسة توكرة المكتشفة الى نفس عصر فسيفساء كنيسة قصر ليبيا الذي ارجعه جودتشايلد الى ٥٢٩ م بمناسبة تأسيس مدينة ثيودورا الجديدة نسبة لزوجة الامبراطور جستنيان (R. Goodchild in "Supplement to the Illustrated London News, December 14, 1957). وكذلك تشبه فسيفساء القديس وخلده في لبنان كما يقول جرابار .

ومع هذا التشابه الكبير في الزخرفة والموضوعات والاشكال المصورة والصناعة وحجم والوان مكعبات الفسيفساء فاننا نلاحظ ان الاسماء المذكورة على فسيفساء كنيسة توكرة — موضوع الدراسة — يسبقها الصليب وان كان ذلك يؤكد طبيعتها المسيحية الى جانب طريقة تشكيل وتصوير الاشخاص بما عرف من الفن البيزنطي الا ان اختفاء وجود الصليب قبل هذه الاسماء في فسيفساء قصر ليبيا جعل من السهل تفسير ذلك الفسيفساء الى انها تجسيد للمعاني المدونة لها مثل التشييد والتزيين والتجديد او تجسيد لهذه المعاني في صورة نسوة ، بينما قد تعود هذه المعاني في فسيفساء توكرة كما لو كانت اسماء لاشخاص مسيحيين تحمل اسماءهن هذه المعاني وان هؤلاء الاشخاص كن قديسات او شهيدات . بينما وجود الصليب قبل اسم كل شخص — ولقد ورد التفسير الاخير بالنسبة لفسيفساء قصر ليبيا وما يعزز هذا التفسير في فسيفساء توكرة اكتشافنا لبعض العظام او رفات بعض الموتى موضوعة في جرتين بيزنطينيتين وجدت احداهما راقدة خلف الحائط الخارجي للحنية وملاصقة لها وعلى مستوى اعلى من الصفين السفليين لاساسات هذا الحائط (صورة) مما يشير الى ان الجرة ترجع الى عصر متأخر بالنسبة لانشاء الحنية وربما كان ذلك هو عصر تجديد الكنيسة وترميمها وتزيينها بالفسيفساء العلوي الذي عليه صور هؤلاء النسوة المذكورة اسماؤهن .

اما الجرة الاخرى فلقد اكتشفت في نجوة بين حائط الحنية الخارجي تجاه الشرق وحائط الحوض المجاور للكنيسة . وعندنا نتساءل لماذا وجدنا فقط جرتين بهما قليل من العظام ؟ من المألوف حديثا ان نجد في القرى في اوروبا المقابر حول الكنيسة . ولكن نجد هناك العديد من القابر — ولكن وجود جرتين هنا في توكرة مع قليل من العظام بهما وفي مكان ملاصق لحنية هذه الكنيسة يجعلني اعتقد بان هناك اهمية لاشخاص الذين وضعت عظامهم في هاتين الجرتين وفي هذه البقعة المهمة من هذه الكنيسة الصغيرة وربما كانت هناك رابطة بين اصحاب هذه العظام وبين الاسماء المذكورة في فسيفساء الكنيسة حيث ان الجرتين وكذلك بموقعهما بالنسبة لاساسات الكنيسة تشير الى اتفاق بين عصرهما وعصر الفسيفساء العلوي للكنيسة — فهل كان اصحاب هذه العظام اذن من القديسات او الشهيدات حتى تحتل الجرتان التي تضم بقايا رفاتهن هذا المكان الهام من هذه الكنيسة ؟ هذا ما نأمل ان نتوسع في دراسته حينما نستكمل البحث .

ولقد كان هناك تساؤل اخير — وهل هذا المبنى حقا كنيسة ؟ قد يكون التساؤل في موضعه اذ ان المبنى بحنيته لا يتجه نحو الشرق او الشرق كما هو مألوف عادة في الكنائس في ليبيا على الاقل بل تتجه الحنية نحو الجنوب الشرقي كما هو واضح من المخطط . اجابتنا على ذلك هو ان الكنيسة وان كان تجديدها

فى اوائل القرن السادس بما حظيت به جدرانها من ترميم باحجار صغيرة تتفق وحجمها والاحجار التى بنى بها الحمام البيزنطى القائم حاليا فى جنازيوم مدينة توكرة الواقع جنوب هذه الكنيسة ((انظر مقالة الفخرانى: اضواء على تاريخ وآثار توكرة ، التى ستنشر ضمن ابحاث المؤتمر الدولى السادس للآثار المنعقد فى طرابلس سبتمبر ٧١)) وكذلك بما حظيت به من فسيفساء جدرانه وفسيفساء صحن وبناء كنيسة قصر ليبيا — ان كان هذا التاريخ صحيحا ، لذلك فاننا نستبعد ان طبقة الارضية الجصية السميكة الكائنة تحت هذا الفسيفساء ترجع للقرن الخامس بينما يرجع تاريخ تأسيس الكنيسة بفسيفسائها السفلى ذو الاسطر الى القرن الرابع وهو بداية العصر البيزنطى حينما كان الامر لم يستقر بعد على اتخاذ اتجاه محدد للكنائس سواء اتجاه الشرق او الغرب ((انظر خنايا كنائس اللاتران وكنائس سوسه فى اتجاهاتها)) ، اى ان الكنيسة بنيت فى القرن الرابع وما حدث فى القرن الخامس والسادس مجرد ترميم وتجديد ومن الملاحظ ان الكنيسة بنيت منذ البداية ككنيسة وليست مثل الكنيسة الشرقية بتركة مبنى رومانيا تحول فيما بعد الى كنيسة .

والنقطة الاخرى هو انه كيف تكون هناك كنيسة بدون اجنحة (Aisles) اذ ان الطراز البازيليكى للكنائس كان يحتم وجود جناح ايمن صحن الكنيسة وآخر من يسارها . ولقد تحققت باجراء حفرة فى الجانب الغربى (صورة) لم أجد فيها اى اثر لجناح للكنيسة مما يجعلنى اعتقد بانها كانت بدون اجنحة . وفى الواقع انما بنيت الاجنحة فى الكنائس الكبيرة العريضة التى لا يمكن اقامة سقفها الا مستندا على اعمدة او دعامات الاجنحة لكى يسهل تثبيت العوارض الخشبية او الحجرية عبر القاعة لبناء السقف وحمايته من السقوط — ولكن هذه الكنيسة ليست عريضة ، ويمكن اقامة سقف عبرها بسهولة دون حاجة لمثل هذه الدعامات والاعمدة التى تمثل احد جوانب الاجنحة عادة . وهناك امثلة لكنائس صغيرة تتكون من صحن فقط وبناء وشاهدنا على ذلك الكنيسة المكتشفة فى عمان بالاردن والتى تنفس عنها وهى كنيسة توكرة بما لها من زخرفة ارضية فسيفسائية . ((B. Van Elderen, "The Byzantine Church at Swafieh" in the Annual of the Department of Antiquities, Amman, Vol. XV, (1970) pp. 25-29))

هكذا يتضح ان المجسات التى حفرناها فى جنوب الحنية من الخارج وفى جنوبها الشرقى قد كشفت لنا عن المقابر الملاصقة للحنية ومن ثم اساسات الكنيسة القديمة التى تتفق وعظمها الذى كشفنا عنه فى الجانب الغربى خارج كل من الجزء المرمم من الحائط الغربى ذو الاحجار الصغيرة والجزء القديم ذو الاحجار الكبيرة ، بينما كشفت الحفرة الواقعة جنوب الحنية من الخارج ايضا عن حداثة تاريخ استخدام الاحجار الصغيرة فى البناء بالنسبة لتلك الاحجار الكبيرة وان كان كلاهما يرجع للعصر البيزنطى ، كما كشفت عن عمق المبنى الملاصق للكنيسة من الغرب والذى يستند على حنيتها من الخارج . ولقد اظهرت الحفرتين التى حفرناهما فى الجانب الغربى للحائط الخارجى دعامات المبنى الغربى الحديث (وان كان من العصر البيزنطى) وكذلك جدرانه الشمالية الممتدة نحو الغرب موازية لجدرانه الجنوبية المستندة على حائط الحنية الخارجى .

الحـــوش :—

حفرت به حفرتان عند الزاويتين الجنوبى الغربى والشمالى الغربى المجاورين للكنيسة . ولقد كان الغرض من الحفرة الاولى هو الحصول على تحديد دقيق للطبقات التى تكون رديم الحوش حتى استطيع تحديد الطريقة المناسبة لازالته . ولقد ثبت ان الرديم تكون من طبقة واحدة خليط من الاحجار والتراب وان كانت بعض النباتات البرية قد نمت فوق السطح بفعل المطر (صورة) .

ولقد لوحظ ان الحوض في جزئه العلوي القريب من انبوبة الفخار العليا الموصلة اليه والواقعة فوق جداره الغربي والتي كانت بطبيعة الحال تمده بالمياه — لوحظ ان الجدران في اجزائها العليا قد بنيت باحجار من كتل صغيرة وضعت في صفوف واستعمل الملاط في وصلها بعضها بالبعض بنفس الطريقة والحجم الشائع في شمال افريقيا منذ القرن الخامس الميلادي والمعروف باسم (opus listatum)(١) الذي شاهدناه في المبنى الغربي المرتكز على حنية الكنيسة وفي ترميمات الكنيسة المتأخرة في جدرانها الشرقية والغربية وفي الحائط المرتكن على درج سلم الكنيسة الامامي والممتد على جانبي السلم نحو الشمال الغربي باستداد جدران الكنيسة الغربية والشرقية . وتتكون كل كتلة من ٢٥ × ٢٠ سم ولا تكون اركانها زوايا قائمة بدقة ولذلك تطبقة المونة عند الاركان اسمك كما ان جوانبها ليست دقيقة في مقاساتها ويرى في الحوض في هذه المنطقة ثلاثة صفوف من هذه الكتل وان كانت هناك صفوف اكثر في مناطق اخرى من الحوض تبعا لعمق الصخر الذي حفرت فيه جوانب الحوض . ولقد لوحظ ايضا في هذه الحفرة وجود طبقة ملساء سميكة ومتقنة تغطي جوانب الحوض وارضيته التي وصلت في عمقها ٢٫٤ م من سطح الارض (صورة) وتمتاز هذه الطبقة بلونها الاحمر لدخول مسحوق قطع صغيرة من قوالب الاجر المحروق في تركيبها وذلك لان مسحوق الاجر المحروق يكسب الملاط خاصية عدم السماح بما لا يسمح للماء بالتسرب من خلاله وهي طريقة رومانية نصح باستخدامها المهندس المعماري الروماني " فيتروفيوس " الذي عاش في القرن الاول ق.م في كتابه الذي كتبه عن العمارة وقدمه هدية للامبراطور اغسطس (Vitruvius, De Architectura V, 10, 3 و VII, 4, 1.) ولقد ساد استخدام هذه الطريقة في صناعة الملاط بالنسبة للحمامات الرومانية التي نراها في روما وفي غيرها من اجزاء الامبراطورية الرومانية مثل حمامات تراجان وكاراكلا بروما وكذلك حمامات ستابيا بمدينة بومبي وحمامات كومالدكة باسكندرية وحمامات تراجان وشحات . وذلك في احواض المياه وخاصة الفريجيداريوم والتالداريوم واستخدمت كذلك في الحمامات البيزنطية بتوكرة الممتلئة في الجمنازيوم اليوناني والتي تشرف عليها في مقالي سابق الذكر ضمن ابحاث المؤتمر الدولي للاثار .

ولقد ظهر في الحفرة ان طبقة الملاط الاحمر عند الاركان كانت سميكة بحيث تغطي زاوية تلاقي كل جدارين بعضهما بالبعض وفي هذا تغطي نقطة تلاقي الجدار الغربي للحوض مع الجدار الجنوبي له كما ان ارضية الحوض يحيطها طبقة سميكة من نفس الملاط الاحمر عند تلاقيها بالجدران . وذلك تظهر ارضية الحوض محاطة بافريز سميك من الملاط الاحمر من كل الجوانب الاربعة للحوض . وذلك خشية تسرب المياه عند وصلات الاركان بعضها بالبعض وعند وصلة ارضية الحوض بجوانبه وذلك زيادة في الاحتياط لحفظ المياه في الحوض . وهذه الظاهرة غير شائعة في الفريجيداريا الرومانية والبيزنطية ولا حتى في خزانات المياه الرومانية والبيزنطية سواء التي في مظلة او في مضاف قرب شحات — وهذا يعطي هذا الحوض اهمية تختلف عن الصهاريج الاخرى العديدة الموجودة في ليبيا واحواض المياه بما في ذلك حوض قصر الاعدة بطلميثة .

اما الجزء الاخير والذي اجري في الركن الشمالي الغربي الملاصق لمدخل الكنيسة فكان الغرض منه الكشف عن مكان الدرج المستخدم في الحوض للنزول الى قاعه سواء لتنظيفه مما يترسب فيه من تراب على مر الايام عند تنظيفه او لمن يريد ان يستفيد بمياه الحوض للشرب — وخاصة ان كان هذا للتصعيد . ولقد ظهر فعلا الدرج كما توقعت ولقد استرعى النظر ان الدرج في الركن فقط ولا يمتد بعرض الحوض، كما في

① R. Krautheimer, Early Christian and Byzantine Architecture, 1965, p. 146.

الدرج الموجود في احواض الحمامات من نرجيد اريا او كالداريا . وهذا يوضح طبيعة الحوض المختلفة عن طبيعة احواض الحمامات المخصصة للاستحمام في العصر الروماني او البيزنطي .

وحيث ان الحوض يلاصق هذه الكنيسة ويقع في الجانب القريب من درج الكنيسة حيث انه في كثير من الاحيان تجد المعمدانيات قريبة من مداخل الكنيسة كما ان المعمدانيات المسيحية كانت في كثير من الاحيان مبان قائمة بذاتها ((كمبنى كبير مستقل وذلك حتى القرن ١١ الميلادي ، كما هو الحال في معمدانية اللاتيران بروما)) ((والتي ترجع للقرن الرابع والخامس الميلادي Early Christian Art, The Late Roman and Byzantine Empires from the third to the seventh Centuries" text by W.F. Volbach, photoes by Max Hirmer, Thames & Hudson, London, 1961, pl. 26)).
كما ان المعمدانيات تكون ايضا بشكل حجرات مستطيلة او مربعة تقوم بجوار الكنيسة او جناحيها كمبنى مستقل احيانا وهذا الشكل انتشر في القرن الرابع في كل العالم اليوناني (R. Krautheimer, "Early Christian and Byzantine Architecture, Penguin Book, 1965, pp. 140, 141.)).

لذلك ربما كانت هناك علاقة بين الكنيسة والحوض والقابر بما يحتوي لهذه الكنيسة اهمية خاصة دون الكنائس الاخرى بتوكرة رغم صغرها وصغر حجمها ليس تقليلا لاهميتها بل ان زخرفتها لتؤكد اهميتها كما ان صغرها ناشيء عن كثرة وجود الكنائس في توكرة والتي يصل عددها لاكثر من عشرة كنائس رغم صغر حجم المدينة القديمة وقلة السكان فيها بالاضافة الحالي ـ وربما كان صغر حجمها لانها كنيسة للقديسات او شهيدات حفظت رفاتهن في هذه الجرار اسوة برفات القديسة كاترينا السكندرية المحفوظة في بازيليكا دير سانت كاترين بسيناء ـ وربما كان هذا الحوض للتعميد الجماعي . او كمسبح لمياه التعميد لخدمة الكنائس الثلاثة او الاربعة المحيطة به والقريبة منه . وربما استخدمت مياهه للتبرك والاستشفاء بالنسبة للمرضى من المؤمنين ـ وليست مثل هذه الاحواض على كبر حجمها بالشيء الغريب . اذ ان التعميد الجماعي بالمياه عرف منذ العصر الهلينستي . ولقد اكتشفت في كانوب (ابي قير) حوض كبير لاستحمام المرضى الذين يدخلون في مياة الاله سيرابيس المصري " (Ev. Breccia, "Le Rovine e i Monumenti di Canope," in Monuments de l'Egypte Greco-Romaine, I, Bergamo, 1926, pp. 46 ff.; Breccia, "Di Alcuni Bagni nei dintorni d'Alessandria" in "Bulletin de la Société archéologique d'Alexandrie, 18, (1921), pp. 147 ff.")

وحيث ان الحوض يوازي ويلاصق الكنيسة ومدخلها في اتجاه واحد ومتجاورين وطريقة بناء الحوض يتفق مع ترميم الكنيسة وتزيينها بالفسيفساء العلوي ومع الحمامات البيزنطية المتأخرة الموجودة بمخازن توكرة اليوناني لهذا اعتقد وخاصة لاختلاط ملاطها الاحمر بجزيئات الاجر المحروق ـ كلها تشير الى ان الحوض بني في نفس العصر الذي شهد فيه ترميم وتزيين الكنيسة وهو اوائل القرن السادس الميلادي .

ولا يسعني في هذا التقرير الا ان اشيد بكل من ساعد في نجاح الحفرية واخص بالذكر الطلبة والزملاء الدكتور توفيق سليمان والدكتور احمد غزال راكرر شكرى لهم، وانوه بفضل الجامعة الليبية (كلية الاداب) والادارة العامة للاثار في كل التسهيلات التي قدموها .

وآمل ان يتيسر قريبا تتمة الابحاث ونشر الدراسات المتعلقة بالحفرية .

((د . فوزى عبد الرحمن الفخرانى))
رئيس قسم الاثار ومدير حفريات الجامعة الليبية (كلية الاداب)
بتوكرة (١٧ـ١٩٧٢/٤/٢٦)

مرفقات :ـ

١ـ ٢ خريطة (مخططات للحفرية وموقع الكنيسة والحوش بالنسبة للكنيسة الشرقية والقلعة .
٢ـ عدد صورة عن الحفرية .
٣ـ نسخة من مقالى " اضواء على تاريخ وآثار توكرة " .

نسخة لعميد كلية الاداب بالجامعة الليبية
نسخة للادارة العامة للاثار الليبية
نسخة لمراقبة آثار بنغازى

ط/ رضوان ناجى بوشمالة **